دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	وضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمراني
المصدر:	مجلة علوم الإنسان والمجتمع
الناشر:	جامعة محمد خيضر بسكرة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
المؤلف الرئيسي:	طلحة، بشير
المجلد/العدد:	ع20
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	سبتمبر / ذو الحجة
الصفحات:	91 - 114
رقم MD:	1014781
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex, EduSearch
مواضيع:	السياسة الإقتصادية، التنمية الإقتصادية، التخطيط العمراني، القصور الصحراوية، النمو العمراني، التطور العمراني
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1014781

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

وضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمرانى

الأستاذ: بشير طلحة، جامعة الأغواط الجزائر

الملخص:

تسعى هذه الورقة إلى تقديم حالة تشخيصية لوضعية القصور الصحراوية في ظل التطور العمراني الذي تشهده مدننا سواء من الناحية المرفولوجية أو من الناحية التركيبية، والتي أفرزت ازدواجية في المنظومة العمرانية نتج عنها تقلص مجال التراكيب العمرانية التقليدية التي كانت تميز جزءًا كبيرًا من فضائنا الصحراوي على حساب الأشكال العمرانية الجديدة، رغم أن هذا الوضع لم يفضي إلى الغياب الكلي لتلك التراكيب والتي أصبحت تشكل إرثًا حضاريًا بما يحمله من عناصر ورموز عمرانية وقيم اجتماعية تعكس مرحلة مهمة من تاريخ مجتمعاتنا وذاكرتها الجماعية، بدأت تتلاشى بفعل الإنسان والزمان.

Abstract:

This document aims to provide a statutory diagnosis of Saharan Ksour, in the urban development of our cities that ca either morphological or structural side, which resulted in duplication of physical system producing narrowing of the traditional urban architectural space, which characterizes an important part of our desert at the expense of new urban forms, although this has not led to the overall lack of such compositions that became a cultural heritage, with all the elements, urban symbols and social values that reflect a historical part of our collective memory, and companies, which may disappear by the fact of man and time.

مقدّمة:

إن وضعية القصور الصحراوية تعبر عن أزمة حقيقية تمر بها مجتمعاتنا وان كانت تبدو في ظاهرها أزمة عمران فهي أزمة عميقة تعكس موقف الإنسان من مقوماتهاالأساسية لارتباطه الحضاري الذي تشكل ضمن حقب تاريخية متتالية، أفرزت للوجود عبقرية التناغم مع المكان والزمان معا ،كما حفظت على طول المرحلة الزمنية عناصر وجوده الاجتماعي وشخصيته التاريخية .

إن مبررات اختيارنا لهذه الدراسة من خلال هذه الورقة هي الوضعية المحرجة التي تعيشها القصور الصحراوية في ظل التغيرات متعددة الأبعادوالأشكال التي تشهدها بلادنا ولاسيما الجزء الجنوبي منها، و ما ستؤول إليه القصور في ظل هذا التغير، وماهي الميكانزمات التي تتعامل بها السلطات مع وضعية القصور في بلادنا ؟ وماهي الحلول المقترحة لذلك ؟ والأهم من ذلك كله ما هي نظرة السكان للقصور ؟ وهل تغيرت ؟ وكيف يتصور سكان القصور وضعيتها ؟ وما أسبابإهمالها ؟

هذه الأسئلة وغيرها المهمة في تشخيص وضعية القصور كانت نابعة من رغبة في دراستها بعدما تم طرح قضية ترميم القصور في الكثير من المناسبات وعلى مستوي الدوائر الرسمية والشعبية كحل مثالي للوضعية التي ألتإليها ، وان كنا نرى بأن هذه القضية هي جزء من حل إلىأنها لاتمثل الحل الأمثل وخاصة عندما تطرح قضية ما بعد الترميم ،أو لصالح من نرمم القصور ؟ وهل ستعود القصور بعد عملية الترميم الى سالف عصرها ؟ وهل تمثل حلا مناسبا للقضاء والتخفيف من أزمة السكن ؟

هذه الأسئلة تم طرحها على عينة دراستنا التي مثلت قصرين مهمين من قصور منطقتنا وهما قصرا تاجموت والحويطة، واقتصرت الدراسة على هذين

القصرين نظرا لمحدودية إمكانياتها المادية والزمنية، إضافةإلىأن الدراسة تنتمي للدراسات الميدانية التي توظف التقنيات والوسائل الميدانية في جمع المعلومات رغم صعوبتها، كما أن الدراسة ألزمت الباحث المكوث في حقل الدراسة مدة أسبوع كامل تم خلاله الالتقاء بالسكان والمهتمين بالمنطقة لكلا القصرين، وعليه فانه لولا وجود بعض العوائق المنهجية والعملية لكانت نتائج العمل أكثر مردودية من ما توصلت إليه، إلىأننا نعتبر هذا العمل بادرة تفتح المجال لأعمالأكثر اتساعا وشمولية في الزمان والمكان .

ويمكننا تقديم هذا العمل وفق الخطوات التالية :

مفهوم القصر

مكوناته

الدراسة الميدانية ونتائجها

1- مفهوم القصر :

"إذا كانت الواحة تشكل نظاما فان القصر هو احد مكونات هذا النظام [1]، فليست الواحة هي خصوصية صحراوية بل النظام الواحي ككل هو خصوصية صحراوية، بكل مكوناته بما فيها القصر الذي يعتبر خاصية صحراوية مغاربية إن لم نكن مبالغين في ذلك، فماهي مدلولاته ؟ ومكوناته ؟ وأين يمكننا تصنيفه ؟

يعد مفهوم القصر من بين المفاهيم الأكثر غموضا نظرا لأنه يرتبط بتحديدات واقعية صبغت المفهوم بصبغة خاصة تختلف عن ما درج طرحه في الأدبيات والتحديدات اللغوية المتعارف عليها في القواميس والمعاجم .

فالقَصر لغة كما جاء في القواميس هو اسم وجمعه قُصُور، وفي احد معانيه (القَصْرُ) هو البيت الفخم الواسع، كما يقترب هذا المفهوم من المصطلح المتداول

والشائع في المصادر التاريخية ، حيث يقصد به" مقر الخليفة أو الحاكم وأفراد عائلته، وكان يطلق عليه في بداية العهد الإسلامي كلمة بلاط" [2].

أما اصطلاحا فهو "مصطلح صحراوي، يعني تجمع، قرية، أو مدينة صغيرة" [3]، و هو تجمع مجموعة من المنازل حسب كابوتري التي تشكل القصر والذي يطلق عليه في المناطق الشمالية مصطلح دشرة، كما أن"تجمع مجموعة من القصور يشكل لنا واحة مثلا واحة بني عباس تتكون من ثلاث قصور هي (بني عباس، قصيبة، واروارات)، بينما واحة فقيق تتكون من سبع قصور" [4].

كما يمكن تعريفه بأنه " قرية محصنة أو تكتلات سكانية متلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلىأصول عرقية وطبقات اجتماعية مختلفة، يحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك مدعما بأبراج، وفي أحيان يعوض هذا السور بجدران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور، ويدعم من الخارج بدعامات نصف هرمية الشكل [5].

كما يمكن تعريفه بأنه "ذلك الفضاء المشترك المغلق و المقسم الى مساحات موزعة توزيعا نوعيا الذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للاحتماء به عند هجوم العدو" [6].

تشير مجمل هذه التعاريف إلى المكونات الأساسية للقصر والتي تحدد معناه على ضوئها، ويمكننا إجمالا حصرها في العناصر التالية: المسجد، الزاوية، الساحات، البرج (الحصن) ، السوق .

1-1 : **المسجد**: يتوسط القصر في الغالب ويسمي المسجد العتيق، وهو واضح في قصور غرداية التي توحي بالطابع الإسلامي لتصميم تلك القصور، إلا انه سجلنا وجود المساجد في بعض القصور عند مدخل القصر، وهذا يرجح حسب بعض المختصين إلىأن تأسيس القصر ربما سابق للفترة الإسلامية [7].

2-1 : **الزاوية** : تعد الزاوية مؤسسة دينية اجتماعية ذات قيمة كبيرة بالنسبة للمجتمعات المغاربية، حيث يرجح ظهورها خلال القرن الخامس عشر أين سادت المعتقدات المرتبطة بالولاء والصلاح وانتشرت بذلك الممارسات المرتبطة بها، ولا تحتل الزاوية مكانة اجتماعية فقط بل تشغل حيزا مكانيا مهما من القصر حيث تنافس في بعض الأحيان المسجد بل يتم التداخل بين مقر الزاوية والمسجد، كما هو ملاحظ في قصر عين ماضي مقر الطريقة التيجانية، وهذا يعبر عن انتقال السلطة من المسجد لصالح الزاوية فهو لا يمثل دور عبادة بقدر ما يمثل مؤسسة دينية اجتماعية سياسية في كثير من الاحيان يتم فيها اتخاذ العديد من القرارات التي تهم سكان القصر، ومع ظهور الزوايا وانتشارها تقلص دور المسجد بالنسبة للعديد من الوظائف، وقد يتمايز المسجد عن الزاوية مجاليا، كأن يتوسط المسجد القصر بينما يحتل مقر الزاوية جزءا كبيرا خاصة عند مدخل القصر، لأنها في الغالب مقصد العديد من الزوار الغرباء عن القصر ولكي لايتم انتهاك حرمته الداخلية .

3-1 : **الساحات** : أو الرحبات كما اشتهرت تسميتها بالنسبة لسكان الصحراء الجزائرية، وهي عبارة عن فضاءات اجتماعية اقتصادية تتم فيها المبادلات التجارية بين السكان داخل القصر فقط، وتتحول في المساء الى ملتقي لسكان القصر او تمارس فيها العديد من المناسبات والاحتفالات، وهي من الناحية العمرانية " ملتقي للأزقة تتنفس من خلاله الأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها من خلال الممرات "[8].

وتسهل عملية الحركة وانسيابية الهواء ، كما ترتبط في الغالب الرحبات بالمسجد الجامع الكبير لامتصاص عدد المصلين ، بينما الرحبة أو الساحة التجارية تحتل موقعا بعيدا عن المجال المقدس للمسجد كما هو بالنسبة لقصر غرداية .

4-1 : **الحصن أو السور** : وهو عنصر رئيسي في القصور الصحراوية نظرا للدور الذي يؤديه في حماية السكان من التدخلات الأجنبية وخاصة خلال الفترات التاريخية التي شهدت عمليات غزو خارجي وهذا ماكان سائدا خلال القرون الوسطي لدول المغرب العربي فاقتصادها يرتكز أساسا على الغزو وما يحققه من مغانم ، لذلك تولى أهمية بالغة للحصون وأبراج المراقبة في هندسة القصور الصحراوية كما يساعد موقع القصر على أعالي المرتفعات إلى لعب نفس الدور في حمايته ففي الغالب القصور الصحراوية تقع في مواقع منيعة ومحصنة طبيعيا، قصر المنيعة مثلا أو قصور الاغواط، أما بالنسبة للقصور التي تقع في السهول فيتم حمايتها بتقوية الحصون أو استعمال الخنادق لمنع العدو من الاقتراب (قصر تاجرونة مثلا في الاغواط عرض الحصن يفوق المترين) .

5-1 : **السوق** : يعتبر السوق من العناصر الأساسية لتشكل المدن، إلاأن معظم القصور الصحراوية تفتقد للسوق الذي يضمن المبادلات الخارجية، فالرحبة تتم فيها المبادلات الداخلية فقط المتعلقة بسكان القصر، وبالتالي فالسوق لا يتواجد الا في المدن الكبري .

لقد تم التركيز على العناصر المادية اي العمرانية في تحديد مفهوم القصر غالبا وهذا لا يُمكننا من فهم وإعطاء المعني الحقيقي لهذا النمط العمراني ، فيجب للاقتراب أكثر من هذا المفهوم عدم إهمال الجوانب والأبعاد الاجتماعية، فتخطيط المجال يخضع للقيم الاجتماعية والدينية والرؤى المرتبطة بالتصورات الفكرية والايديولوجية، فالعناصر العمرانية المادية تبدو عناصر مشتركة بين البشرية جمعاء .

لقد تم مناقشة هذه القضية لدي المختصين عندما تطرقوا للمدينة الإسلامية فاعتبروا أن العناصر العمرانية موجودة في الحضارات السابقة وبالتالي الحضارة الإسلامية لم تأتي بالجديد، بل أعادتإنتاج ما كان موجود في الحضارات

السابقة بل قلدتها ، وهذا الحكم كان ناتج عن إهمال القيم الاجتماعية والدينية المرتبطة بتقسيم المجال .

وعليه فانه يمكن النظر إلى القصر على أساس انه مرحلة انتقالية بين حياة البداوة وحياة المدينة، فهو لا يرقي للمدينة بالمعني الحقيقي للكلمة، كما انه يختلف عن البادية التي يتواجد بها أو يرتبط بها ارتباطا وثيقا، فلقد أسست بعض القصور لتضمن استمرارية الحياة البدوية كانت وظيفتها تخزين المحاصيل الزراعية والحيوانية التي يقوم البدو بإنتاجها .

هذه العلاقة التي لا يمكن فهمها إلا في إطار فهم جدلية البدو والحضر فلا يمكن تصور بادية بدون قصور والعكس صحيح، فالحضور متلازم هنا، يضمن البدو الحماية للقصور وتزويدهم بالمواد الأساسية، فيما يضمن القصوريين المستودعات والراحة للبدو الرحل، ونشير هنا إلى أن هذه العلاقة لم تكن تسير بوتيرة واحدة وعلى نمط واحد بل كانت تتجاذبها تغيرات حسب المراحل الزمنية لتطور هذه القصور، فالمركزية في البداية كانت لصالح البادية أي بمعني أن السيطرة التامة كانت لصالح البدو الرحل، فالطبقة المالكة للثروة تتواجد في البادية وليس في القصور، لتتغير بعد ذلك العلاقة لصالح القصور وخاصة بالنسبة للقصور التي استبحرت في العمران وأصبحت اقرب للمدن منها للقصور .

2- العلاقة بين القصر والمدينة :

تبدو عملية تصنيف القصور الصحراوية ضمن الأنماط العمرانية المتعارف عليها مهمة صعبة حتي بالنسبة للمتخصصين، نظرا لخصوصيتها وارتباطها بمجالات جغرافية خاصة، ولكن اقرب الطروحات كانت تلك التي حاولت البحث عن نقاط الشبه والاختلاف بين المدينة العربية الإسلامية (médina)والقصور [9].

وهذا من خلال الرجوع إلىأهم خصائص المدينة التقليدية والتي اختصرها " كلود شالين" في العناصر التالية [10]:

- ✓ التركز الجغرافي للأنشطة التجارية والإنتاجية في منطقة السوق.
- ✓ كثافة النسيج المبني.
- ✓ الحضور الديني من خلال دور العبادة وأماكن التعليم.
- ✓ براعة الاستجابة الحضرية والمعمارية للعوامل المناخية وارتفاع درجات الحرارة والتي تتمثل في الطرق الضيقة والمساحات المفتوحة الداخلية والأسطح ...الخ .

هذه العناصر والتي يشكل السوق أهمها تغيب في القصور الصحراوية مما جعل "كوزمين" ينفي أية علاقة بين المدينة التقليدية والمدن الصحراوية بل اعتبر أن " المدن الصحراوية الجزائرية لم ترقي في يوم من الأيام الى مستوي المدينة (médina) بالمعني الحقيقي للكلمة، بل هي امتداد وتوسع مجالي للقصور، فبسكرة تشكلت من خلال تجمع سبع قصور، فيما غرداية تشكلت من خمس قصور، وبالتالي المدينة انطلاقا من العناصر السالفة الذكر لم تتواجد بالصحراء الجزائرية "[11].

يبدو هذا الحكم وان كان في ظاهره اقرب إلى الصحة إلى انه من الناحية الواقعية بعيد نوعا ما عن الحقيقة، صحيح أن المدن الصحراوية تشكلت عبر الزمن من تلاقي مجموعة القصور ولكن خلال بدايتها الأولي ومع تطورها برزت المدينة بجميع مكوناتها وخصائصها، بل برزت فيها العديد من العناصر المهمة كالسلطة السياسية التي تعتبر أساس نشأة وتكون المدينة في نظر ابن خلدون، فمدينة ورقلة وتقرت شهدت تاريخيا سلطنات مستقلة واعتبرت مراكز للحكم خلال تاريخها، بل برزت فيها عناصر المدينة العربية الإسلامية حتي من الناحية المرفولوجية والمعمارية يصف الوزان مدينة ورقلة خلال القرن الحادي عشر بأنه كان يديرها " أمير يشرفونه كالملك، يعيل نحو ألف فارس من حرسه، ويجبي إليه من إمارته مائة وخمسون ألف مثقال "[12].

كما يصف مدينة تقرت بأنها تضم عدة قصور وقري وأماكنمأهولة على طول مسيرة ثلاثة أياممأوأربعة، كلها خاضعة لأمير تقرت، الذي أصبح يجبي منها مائة وثلاثين ألف مثقال، ولهذا الأمير حرس قوي من الفرسان ورماة القذائف والبنادق، يعطيهم أجرا مناسبا " [13]، بل يؤكد ابن خلدون في صدد حديثه عن ورقلة بأنها بنيت في بدايتها " قصورا متقاربة ثم استبحر عمرانها فصارت مصر " .

إن إشكالية التصنيف ترجع إلى عمليات المقارنة الآلية والمجحفة التي يلجأ إليها بعض الباحثين ولاسيما الباحثين الغربين، فالمدينة العربية نتعرف عليها من خلال مقارنتها بالمدينة الغربية الاوروبية وهى بالتالي بعيدة عن مفهوم التمدن نظرا لافتقادها لبعض خصائص المدينة الغربية، ونفس الشيء يقال عن المدينة الصحراوية هي بعيدة عن المدينة التقليدية لأنها تفتقد لبعض خصائصها، وعليه فان القيام بأي تصنيف يجب أنيأخذ بعده الشمولي والعملي بالاعتماد على الخصائص الواقعية التي تتخذ صبغة محلية، وتجدر الإشارة هنا إلى العملية التصنيفية فائقة الدقة والواقعية التي قام بها ابن خلدون خلال القرن الرابع عشر اعتمادا على مؤشرات واقعية ، ومنه فانه صنف المدن إلى ثلاثة أنواع .

انطلاقا من المدن الرئيسية أو المدينة الدولة (العاصمة) وهي التي يتمركز فيها الحكم " فاستقرار سلطان الدولة داخل المدينة يفضي إلى وصول المدينة إلى حالة متطورة ، فتصبح المدينة الدولة مدينة حضارة، وهذا بعدما تستحكم فيها عوائد الحضارة " [14].

وهناك المدن المتوسطة وأخرها المدن البدوية و "هي التي يغلب عليها طابع البداوة وتفتقد للحمامات والأسواق والصنائع" [15].

كما ينعكس ذلك على عمرانها وطرق ومواد تشيدها، و استنادا لهذا التصنيف يمكن اعتبار المدن الصحراوية مدننا بدوية بتعبير ابن خلدون.

3- الدراسة الميدانية :

1-3 مجال الدراسة :

تمثل عينة الدراسة قصرين من بين حوالي أربعين قصر متواجدة بالمنطقة تم إحصائهم من طرف الهيئات المختصة وان كان معظم هذه القصور تأتي في المرتبة الثانية من ناحية الأهمية بالنسبة للقصور المأهولة بالسكان والحديثة عهدا تقريبا مقارنة بالقصور التي هجرت قديما و أصبحت عبارة عن أطلال قد تشكل أهميتها دراسة للمختصين في علم الآثار، ويمثل النموذجين حالة دراسة للجهة الغربية ممثلتا بقصر تاجموت بينما الجهة الوسطي بقصر الحويطة .

3-1-1 **قصرالحويطة** :

يرجع تأسيس القصر إلى حوالي منتصف القرن السابع عشر، حيث يرجح أن تكون بعض البطون من " قبيلة اولاد يعقوب هي التي اتجهت من مكان سكناها واستقرت في المكان الذي يعرف به القصر حاليا، وهذا حوالي سنة 1650 ميلادية (16)، بالنسبة لقصور المنطقة، إلاأن " ذياب بن غانم من اجل الحفاظ على صغار الإبل من سطو اللصوص أحاطهم بسياج صغير ، هذا السياج يسمي باللغة العامية الحويطة " (17)، بالنسبة لقصور المنطقة، إلاأن " ذياب بن غانم من اجل الحفاظ على صغار الإبل من سطو اللصوص أحاطهم بسياج صغير هذا السياج يسمي باللغة العامية الحويطة "(18).

و قد احتل القصر مكانة هامة انطلاقا من موقعه بالنسبة للجهة الغربية حيث يعتبر نقطة وصل بين قصور الاغواط وقصور جبل العمور وكذلك مركز عبور لقبائل الاغواط الغرابة، أين كانت تربطه بهم علاقة وطيدة وخاصة قبائل اولاد يعقوب واولاد سيدي عط الله و أولاد زيان .

الصورة رقم (01): منظر داخلي لقصر الحويطة الصورة رقم (02) : منظر خارجي لقصر الحويطة

3-1-2 قصرتاجموت :

" على الجهة المقابلة لقصر الحويطة ، أي شمال شرق مدينة الاغواط وعلى بعد 32 كيلو متر من القصر سابق الذكر يقع قصر تاجموت " (19)، وهو يعد من بين أهم قصور المنطقة نظرا للأحداث المتعاقبة التي سجلت سواء في التاريخ القديم أو الوسيط ، وتعود أصل كلمة تاجموت حسب الرواية الشفوية لسكان القصر كما ترويها الأسطورةإلىأن معناها مستمد من " تاج الموت حيث كانت ملكة تحكم المنطقة قبل دخول الإسلام ، وكلما حكمت على شخص بالموت فإنها تضع التاج على رأسها " (20)، ولكن بالنظر إلى مدلول الكلمة والتي تعود إلىالأصول الامازيغية والتي تتكرر في كم من موقع من الجزائر واصلها حسب الأستاذ حملاوي " تاجنوت والتي تعني البئر المتسعة والعميقة (21).

الصورة رقم (03): منظر لقصر تاجموت وبساتينه

2-3 مجتمع البحث واختيار العينة :

يتكون مجتمع البحث من اجمالي عدد السكنات الخاصة بالقصرين (الحويطة وتاجموت) والمقدرة بحوالي316 مسكن منها 68 مسكن بقصر الحويطة و248 مسكن بقصر تاجموت وبالتالي هناك عدم تكافؤ في حجم القصرين ، من حيث عدد السكنات والمساحة ، فحسب الحالة التقنية لقصر تاجموت فان اغلب النسيج العمراني في حالة جد متدهورة ، فالمباني المنهارة تمثل ما نسبته 29.41 % والمنهارة جزئيا تمثل اقل من 3%أما المباني التي هي في حالة جيدة لاتبلغ سوى 3% (انظر الشكل رقم 01)، هذا فيما يخص حالة قصر تاجموت أما الحالة التقنية لقصر الحويطة فان نسبة المباني المنهارة تمثل 33% والمنهارة جزئيا 11%و التي في حالة جيدة 17% من مجموع المباني (انظر الشكل رقم 02).

هذه الوضعية صعبت لنا طريقة اختيار العينة ، بما أن جل سكان القصرين ليسوا متواجدين في القصر فإننا عزمنا على اختيار عينة بحجم 136 مفردة موزعة مناصفة بين القصرين واخترنا الحد الادني لإجمالي عدد سكنات قصر الحويطة أي 68 مفردة ، ولكن كانت نسبة استلام الاستمارات قليلة خاصة بالنسبة لقصر الحويطة حيث استلمنا 34 استمارة وتم رفض بعض الاستمارات نظرا لعدم اكتمالها ، فيما استلمنا حوالي خمسين استمارة في قصر تاجموت تم قبول منها 34 استمارة لتتم عملية المقارنة بشكل مقبول بينها وبين عدد الاستمارات الموجهة لقصر الحويطة ، وكان شرط توزيع الاستمارة هو توفر ملكية السكن داخل القصر القديم كشرط أساسي لتوزيع الاستبيان ، وبالتالي فحجم عينتنا مثل ما نسبته 21.51% من إجمالي مجتمع البحث .

واعتمدنا على العينة العرضية وهي من ضمن العينات غير الاحتمالية المتعارف عليها ، ولم تواجهنا صعوبات في توزيع الاستبيانات بقدر ما واجهتنا صعوبة في جمعها ، كما احتوى الاستبيان على حوالي 33 سؤال نطرحها وفق التالي :

3-3 وضعية القصور :

تتحدد وضعية القصر انطلاقا من وضعيته القانونية للسكنات مما يعطي صورة واضحة عن الارتباط بالسكن داخل القصر والذي سيتحدد عنه الكثير فيما بعد ، وهذا ما يمثل السؤال رقم 15 والمتضمن ملكية المسكن لمن تعود كما هو موضح في الجدول التالي :

الجدول رقم 01 : يمثل نوع ملكية المسكن داخل القصر

نوع ملكية المسكن	التكرار	النسبة
ملكية شخصية	12	17.64 %
ملك للعائلة	53	77.94 %
اخر	03	4.41 %
المجموع	68	100 %

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن77.94% من العينة المدروسة أجابت بان ملكية سكناتهم المتواجدة بالقصر تعود إلى عائلاتهم وهي نسبة معبرة مقارنة مع الذين أجابوا بأن ملكية السكنات الموجودة بالقصر تعود لصالحهم بنسبة 17.64%أي بفارق 60.3% وهي نسبة كبيرة توضح بان أغلبية السكنات المتواجدة في كلا القصرين تعود ملكيتها للعائلة مما يصعب اتخاذ أيإجراء فردي اتجاهها ، ولعل هذا مايدعمه الجدول التالي :

الجدول رقم 02يوضح وضعية المسكن

وضعية المسكن	قصر تاجموت		الحويطة		النسبة
معروض للبيع	09	26.47%	00	00%	13.23%
معروض للكراء	02	5.88%	03	8.82%	7.35%
في حالة تنازع بين الورثة	02	5.88%	06	17.64%	11.76%
مهمل	12	35.22%	20	58.82%	47.05%
اخر	09	26.47%	05	14.70%	20.58%
المجموع	34	100%	34	100%	100%

يتضح من خلال الجدول أن47.05% من إجمالي العينة المدروسة أجابوا بأن وضعية سكناتهم مهملة وهي نسبة تقارب نصف العينة المدروسة ، وإذا ماقارن بين الإجابتين في كل من القصرين كما هو موضح في الجدول نري بان أفراد العينة الذين أجابوا بان وضعية سكناتهم مهملة في قصر الحويطة اكبر من الذين أجابوا بأن وضعية سكناتهم مهملة في قصر تاجموت حيث مثلت النسبة الاولي 58.82% بينما النسبة الثانية مثلت 35.22% ، ومنه فان عدد وضعية السكنات المهملة في قصر الحويطة أكثر منه في قصر تاجموت ، فيما مثلت نسبة الذين أجابوا بأن وضعية سكناتهم معروضة للبيع بـ13.23%وإذا ما قارن بين القصرين نجد أن نسبة الذين أجابوا بان وضعية سكناتهم معروضة للبيع مثلت في قصر تاجموت 26.47% بمقابل قصر الحويطة لم تعرض السكنات للبيع ولعل هذا

مايدعم ملاحظتنا الميدانية إذ لاحظنا كثرت تردد كلمات للبيع بمنازل قصر تاجموت فيما لم نلحظ هذه الظاهرة في قصر الحويطة .

كما سجلت إجابات المبحوثين مانسبته 11.76% من إجمالي العينة وضحوا أن وضعية سكناتهم في حالة نزاع قانوني بين الورثة ويظهر ذلك في قصر الحويطة أكثر منه في قصر تاجموت ، فيما سجلت نسبة الذين أجابوا بأن وضعية سكناتهم معروضة للكراء 07.35% من إجمالي العينة المدروسة وتكاد تتقارب النسب بين اجابتي العينتين لكلا القصرين في هذه الحالة ، بينما مثلت نسبة الذين لم يوضحوا وضعية سكناتهم داخل القصر ب20.58% من إجمالي العينة .

نستنتج من خلال هذا الجدول أن وضعية السكنات غير متكافئة للقصرين فالقابلية لاستغلال السكنات مازالت قائمة في قصر تاجموت منه في قصر الحويطة ولعل هذا ما يبرر نسبة عرض السكنات للبيع بالقصر ، فيما أشارتالإحصاءات بالنسبة لقصر الحويطة أنأكثر من نصف سكناته مهملة بالإضافةإلىأن نسبة معتبرة متنازع عنها بين الورثة ، ولعل هذا ما يعبر عن الوضعية العامة التي يعيشها القصر انطلاقا من وضعية سكناته .

إن الوضعية التي ألإليها كلا القصرين أثارت انتباه السكان بحيث أجابمعظم أفراد العينة أن وضعية القصر أثارت انتباههم بنسبة 95.58% من إجمالي العينة فيما أجاب4.41% بعدم الاهتمام بوضعية القصر، كما هو موضح في الجدول رقم 03 .

الجدول رقم 03 : يوضح اهتمام السكان بوضعية القصر

هل اثارت وضعية القصر انتباهك؟	التكرار	النسبة
نعم	65	95.58%
لا	03	4 .41%
المجموع	68	100%

هذا الاهتمام سيولد رد فعل لدي السكان للتصرف اتجاه الوضعية التي ألإليها القصر والتي على ضوئها ستتخذ الإجراءات المناسبة انطلاقا من هذه الوضعية ، وهذا مايوضحه الجدول التالي :

الجدول رقم 04 : يوضح رد الفعل المتخذ من طرف سكان القصر اتجاه وضعيته

ماكان رد فعلك ؟	التكرار	النسبة
طلبت من المعنين إعادة ترميمه	43	40.18%
تكلمت مع الأصدقاء حول وضعيته	33	30.84%
بادرت بفعل معين اتجاهه	14	13.08%
اللامبالاة	17	15.88%
المجموع	107	100%

يتضح من خلال الجدول أن نسبة 41.18% من العينة بادرت بطلب من السلطات المعنية بترميم القصر، فيما اكتف مانسبتهم 30.84% منهم بإثارة موضوع القصر مع الأصدقاءبينما أجاب مانسبتهم 15.88% باللامبالاة اتجاه الوضعية التي ألإليها القصر فيما أجاب مانسبتهم 13.08% بمبادرات فردية اتجاه وضعية القصر .

يتضح من خلال الجدول مدى الوعي المتشكل لدي سكان القصر حول وضعية القصر بحيث أن سكانه لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل بادروا بإسماع صوتهم للسلطات المعنية من اجل إعادة ترميمه أو اثارت الموضوع مع الأصدقاء كحل أخير ، فيما اخذ بعضهم زمام المبادرة من تلقاء نفسه فهناك وعي بالوضعية التي ألإليها القصر لان أمرهيعنيهم لكن تبقي مبادرة إصلاحه مرتبطة بالسلطات أيبالمبادرات الخارجية .

ويترجم هذا الاهتمام بالقصر ووضعيته ، وجود أسباب موضوعية أدت إلى العزوف عن السكن به وهذا ما يوضحه الجدول رقم (05) :الذي يوضح أسبابالتخلي عن السكنبالقصر

أسباب تخلي عن السكن بالقصر	التكرار	النسبة
انهيار المباني	21	30.88%
انعدام النظافة	03	4.41%
غير صالح للسكن	34	50%
الانتقال الى مكان افضل	10	14.70%
المجموع	68	100%

يتضح من خلال الجدول أن نسبة 50% من المبحوثين أجابوا بان أسباب تخليهم عن السكن بالقصر راجع إلى عدم صلاحية السكنات به، فيما أجاب30.88% منهم أنأسباب تخليهم عن السكن راجع لانهيار المباني به، بينما أجاب14.70% منهم ان سبب تخليهم راجعة الى الانتقال لاماكن افضل من القصر ، بينما فضل 4.41% هجرته لعدم توفر النظافة به .

نستنتج من خلال الجدول أن80.88% من المبحوثين أجابوا بان تخليهم عن السكن كان لأسباب واقعية ترتبط بوضعية سكناتهم والمتمثلة بالانهيار وعدم صلاحيتها وكذا وضعيته المزرية وهي إجابات تمثل الأغلبية، بمقابل 14.70% فقط استحسنوا السكن خارج القصر، ومنه نستخلص أن وضعية السكنات هي من بين الأسبابالمنفرة للسكن بالقصر .

وأمام هذه الوضعية التي يعيشها القصر فقد تم البحث عن الحلول التي يراها المبحوثين مناسبة لهذه الوضعية ، كما هو موضح بالجدول التالي :

الجدول رقم 06 : الإجراء المناسب لوضعية القصر

الاجراء الذي تراه مناسبا	التكرار	النسبة
تهديمه	08	11.76%
ترميمه	60	88.23%
المجموع	68	100%

وكما هو ملاحظ من الجدول فان 88.23% من المبحوثين أجابوا بان الحل الأمثل لهذه الوضعية هو ترميمه، بمقابل 11.76% الذين أجابوا بهدمه، إنالأغلبية ترى عملية الترميم هو الإجراءالأفضل وهي تعني الإبقاء على القصر والتشبث به و إدخال عليه تعديلات بينما هدمه وان كان حلا مطروح بالنسبة للمختصين وغير المختصين فان سكان القصر لا يفضلونه .

وأمام هذه الإجابات التي قدمها المبحوثين والمتعلقة بالترميم ، فقد تم استجوابهم عن الجهة المستفيدة من عملية الترميم ، وهذا ما يوضحه الجدول التالي : الجدول رقم 07 : الترميم لصالح من ؟

الترميم لصالح من ؟	التكرار	النسبة
سكان القصر	24	35.29%
الجانب السياحي	35	51.47%
بدون اجابة	09	13.23%
المجمـــــــــــــــوع	68	100%

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة 51.47% من المبحوثين أجابواأن الترميم يجب أن يذهب لصالح الاستثمار في الجانب السياحي ، فيما أجاب35.29% انه يجب أن يستفيد من عملية الترميم سكان القصر ، فيما فضل 13.23% عدم الإجابة على هذا السؤال ، ومنه نستنتج أن نصف العينة المدروسة ترى بضرورة توظيف ذلك الترميم لصالح الجانب السياحي ولعل هذا ما حدث في العديد من القصور التي تم ترميمها ، كما تعبر هذه الإجابة عن مدى الوعي بالجانب السياحي والاستثمار فيه ، ولكن هذه الإجابات لم تمنع وجود نسبة ترى بضرورة توظيف هذا الترميم لصالح سكان القصر وهو حل من شانه أن يقضي على احتياجات السكن ، ولعل هذه الرغبة في الاستفادة من ترميم سكنات القصر لفائدة سكانه تؤكدها الرغبة في الرجوع للسكن داخل القصر بحيث أجابوا في سؤال طرحناه على المبحوثين ومضمونه ، هل فكرت في الرجوع للسكن داخل القصر؟، فكانت إجابتهمبأن55.88% منهم يرغبون للعودة للسكن داخل القصر

وهي نسبة تمثل أكثر من نصف العينة المدروسة، بمقابل 33.82% الذين أجابوا بعدم الرغبة بالعودة للسكن داخل القصر.

إن هذا الاهتمام بحالة القصر ووضعيته تترجمه الحالة الشعورية التي يحملها سكان القصر عنه ، وهي حالة تم الكشف عنها من خلال طرح السؤال التالي كما يوضحه الجدول :

الجدول رقم 08 : ماذا يمثل لك القصر ؟

ماذا يمثل لك القصر ؟	التكرار	النسبة
ذكريات الطفولة	43	63.23%
ارث حضاري يجب المحافظة عليه	17	25%
بدون إجابة	08	11.76%
المجموع	68	100%

إذا نستنج من خلال الجدول أن ما نسبته 62.23% من العينة المدروسة يمثل لهم القصر مخزون لذكرياتهم الطفولية إذ ترتبط هذه الذكريات بالمجال القصورى الذي عايشوه وهي نسبة معبرة تفوق نصف العينة المدروسة بـ 12.23% ، فيما أجاب ربع العينة 25%أن القصر يمثل لهم إرثا حضاريا يجب المحافظة عليه وحمايته ، فيما فضل 11.76%عدم الإجابة على هذا السؤال .

إن الذكريات حالة وجدانية تعبر عن الارتباط العاطفي للأشخاص بالقصر. كما تعبر عن القيمة الحقيقة التي يحتلها القصر بالنسبة لساكنيه، ولكن رغم ذلك لم تخلوا إجابتهم من وعي ثقافي إذ يمثل القصر جزءا من ثقافتهم وانتمائهم الحضاري وعنصرا إضافيا لشخصيتهم التاريخية.

خاتمة :

تشير النتائج المحصل عليها من خلال استجواب المبحوثين إلى التوافق مع واقع القصور الموزعة على كامل تراب الولاية وخاصة تلك التي بدت أنها أفضل حالا من مثيلاتها التي أصبحت أطلالا، والتي تعكس إلى حد ما مستقبل تلك القصور إن لم تتخذ الإجراءات اللازمة لتدارك وضعيتها أين يتفق السكان مع المسؤولين على ضرورة ترميمها بعد صيانتها طبعا، ولكن هذا الحل يعتبر من بين الحلول الباهظة و المكلفة لخزينة الدولة في ظل وجود قضايا أكثر أولوية في رزنامة عمل المجالس البلدية ، وخاصة منها قضية السكن التي تطرح بحدة .

إن عملية ترميم القصور تبدو لدى السكان وسيلة غير مجدية للتخفيف من أزمة السكن بل يجب الاستفادة منها واستثمارها في الجانب السياحي، وهذا الحل يجب أن يخضع لتقديرات المتخصصين في الجانب السياحي للنظر في مدى صلاحية تلك القصور لهذه العملية ، فقد مكنتنا زيارتنا المختلفة لبعض المناطق والاطلاع على نماذج القصور التي أُجريت عليها عملية الترميم بهدف استغلالها في الجانب السياحي طرحت العديد من المشاكل.

ويمكن ذكر كل من قصر موغل بولاية بشار حيث أقدمت جمعية القصر على ترميمه وفتحه أمام السياح الوافدين على المنطقة رغم أن سكانه فضلوا السكن في سكنات جديدة، ونفس الشئ بالنسبة لقصر بوسمغون بولاية البيض أين تم ترميمه من طرف مجلس البلدية الذي بذل مجهود كبير في هذه العملية إلا أن مشاكل عملية تقنية طرحت نتيجة غياب الوظيفة الاجتماعية للقصر فأصبحنا نتكلم عن هياكل عمرانية بدون روح ، وهذا ما انعكس على الوضعية العمرانية للقصر فهو محتاج للصيانة باستمرار مما قد يضعف قدرة أي مؤسسة على التكفل بهذا الجانب .

إن الوضعية التي ألت إليها القصور كانت ناتجة عن أسباب واقعية تعكس رغبة السكان في هجرانها(الجدول رقم 05) والاتجاه نحو سكنات أكثر ملائمة

لمتطلبات الحياة الراهنة ، مما يطرح إشكالات عملية لا تتعلق فقط بإعادة إنتاج نفس الأنماط العمرانية بل التفكير في تطويرها لكي تتوافق و المتغيرات الجديدة للسكان وهذا بدوره يحتاج إلى جهد كبير من طرف العديد من المتخصصين في مجالات مختلفة .

إن الوضعية التي ألت إليها القصور لا يمكن تداركها إلا بأخذ في الحسبان عامل الزمن كعامل مهم في الحفاظ على استمراريتها ووجودها إذ وفي نفس الوقت الذي نتكلم فيه عن حالتها تشهد كل يوم تقريبا تدهورا مستمرا واندثار لأهم معالمها، بل استعملت في كثير من الأحيان كإسطبلات لمربي المواشي و أمكنة لرمي النفايات .

كما تتطلب وضعيتها سياسة واضحة نابعة من واقعها ومتطلبات سكانها و الإمكانات المتاحة لإعادة بعث تلك المنظومة العمرانية التي ارتبطت لفترة من الزمن بوجودنا ومقومات شخصيتنا .

الملاحق :

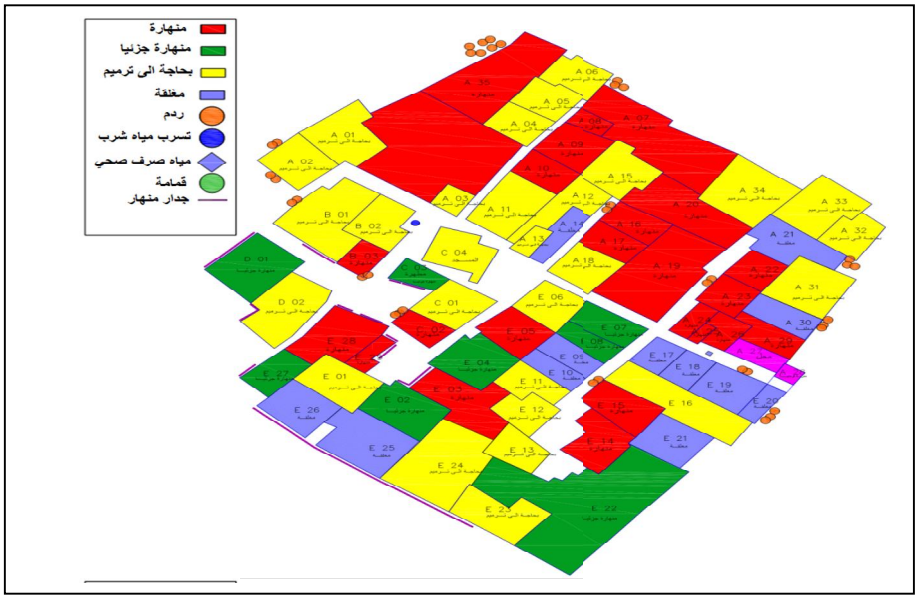

الشكل رقم 02 : الحالة التقنية لقصر الحويطة

❖ هوامش البحث:

(1) Yaël Kouzmine, Dynamique et Mutations Territoriales du Sahara Algérien vers de Nouvelles Approches Fondées sur L'observation, thèse de doctorat, Université de France – comté, école doctorale , 2007 ,p54.

(2) على حملاوي، **نماذج من قصور منطقة الاغواط**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية ، الجزائر ، 2006، ص 16.

(3) Marc COTE , **Signatures sahariennes** , Presses Universitaires de Provence , Aix –Marseille université , 2012 , p 90 .

(4) Robert CAPOT-REY, **le Sahara Français** , puf , paris , 1953 ,p 234 .

(5) على حملاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص 18

(6) المرجع السابق ، ص 22

(7) صاحب هذا الرأي هو الأستاذمحمد الطيب عقاب أستاذ بقسم علم الآثار بجامعة الجزائر ، في إحدى زياراته لقصر عين ماضي، سنة 2009 .

(8) على حملاوي ، مرجع سبق ذكره، ص 29 .

(9) يؤيد هذا الرأي الأستاذ حملاوي في الصفحة ، 39 .

(10) Yaël KOUZMINE, op.cit ., p 57 .

(11) Ibid, p . 11 .

(12) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص 137

(13) المرجع السابق ، ص 136 .

(14) سلامى باهي و بشير طلحة ، **المدينة في الفكر الخلدوني**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، اكتوبر 2009، قسم علم الاجتماع ، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، ص 111 .

(15) المرجع السابق ، ص ،108 .

(16) Jean Mélia , **LAGHOUAT ou les Maisons Entourée des Jardins** , libraire Plon , paris , 1923 , p217 .

(17) Ibid. , p .217.

(18) Ibid., p217.

(19) Ibid.,p219 .

(20) خديجة بوخلخال، **قصر تاجموت دراسة اثرية ومعمارية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، معهد علم الآثار، 2011، ص 13 .

(21) على حملاوي ، مرجع سبق ذكره ، ص 13.